الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات

قسم: الآداب واللغة العربية
اختصاص: أدب حديث ومعاصر

السنة: الأولى ماستر
الأفواج: 01/ 02 / 04/03

الأستاذة: أ. مزهودي

الآداب الأوروبية المعاصرة02

السنة الجامعية: 2023 / 2024

الآداب الأوروبية في القرن 19ص الشعر والقصة والروايةق

المحاضرة الأولى: الشعر الإنجليزي الرومانسي

تقديم:

تطورت في أوروبا، خلال القرن الثامن عشر، حركة فلسفية وسياسية واجتماعية تعتمد على العقل كمصدر للحقيقة والتخلص من وصاية الآخرين؛ سواء كان أولئك الآخرون أديانًا أو مؤسساتٍ أو أفرادًا؛ تلك الحركة عُرفت بعصر التنوير أو الأنوار، الذي عرفه ايمانويل كانط : بأنه خروج الانسان من مرحلة القصور العقلي وبلوغه النضج، فقد قال: "أعملوا عقولكم أيها البشر ولا تستسلموا للكسل والمقدر والمكتوب[1]"، وحذر من خلال ذلك من الطاعة العمياء للقادة ورجال الدين، و أشار إلى أن القصور العقلي هو التمجيد للآخرين وعدم التفكير الشخصي، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات من دون استشارتهم.

وفيما كانت أوروبا تتجه نحو عقلنة الطبيعة، والاعتماد على العقل والفلسفة التجريبية الوضعية كمصدر للمعرفة، مضت إلى تجنيب التراث الأخلاقي والعواطف الشخصية كمحفز للسلوك الإنساني. وهو ما أسس بدوره لما يعرف اليوم بعالم الحداثة لكن بحلول نهاية القرن الثامن عشر، ظهرت حركة مضادة لها. تلك الحركة هي الرومانسية (1735. 1832)ومثلت عصر الثورة في تاريخ السياسة وكذلك الأدب فكان هناك شغف بالحرية والتخلص من القواعد المقبولة منذ زمن طويل، لكن مبادئ الثورة الفرنسية فقدت مصداقيتها على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها فرنسا لبدء نظام جديد وأفضل للأشياء، وقد أدى ذلك إلى فقدان عام للإيمان والأمل وهو ما يظهر أيضا في الأدب[2]، اتسعت رقعة الرومانسية وخرجت من ألمانيا وشملت إسبانيا وإنجلترا وفرنسا.

بالنظر للخلفية الفكرية والسياسية التي نشأت على أثرها الحركة الرومانسية، نرى مقدمات منطقية لظهورها. فقد غرقت أوروبا في الحروب النابليونية من بعد الثورة الفرنسية وحتى عام 1815. وكانت هذه الحروب بمثابة صدمة للمجتمع الأوروبي، حتى إن الرسام الإسباني فرانشيسكو جويا صوّر مشاهد التعذيب وتقطيع الأشلاء والجثث الوحشية في سلسلة رسومات عُرفت باسم "كوارث الحرب". " وقد كان واضحًا أن كل شعارات عصر التنوير حول المساواة والحرية والعدل لم تتحقق. بل إن القطيعة مع الماضي

[1] هند مسعد ،الرومانسية ..هروب من قيود العقلانية، www.aljazeera.net

[2] UNIVERSITY OF CALICUT SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION BRITISH LITERATURE- 19th CENTURY Smt.NABEELA MUSTHAFA https://sde.uoc.ac.in/sites/default/eng1c02.pdf

والخيال لم تؤدِ إلى زيادة سلطان العقل وتوسيع رقعة المعرفة كما كان يرنو عصر التنوير فقط؛ بل حفزت من الهمجية والوحشية الناجمة عن التحرر من عقال الأخلاق والتقاليد والدين فأفكار مُفكرين وفلاسفة وأدباء أمثال روسو وكانط وفولتير حول إعلاء قيمة العقل كمهمة تربوية للمثقف للتحرر من الميتافيزيقا، والظلاميّة الدينيّة، ومن طغيان الملوك والكنيسة؛ ألقى بظلاله على أوروبا في هيئة ثورة صناعية وتوسع التجارة وحركة رأس المال ونمو سكاني وتوسع حضري. هنا، ظهرت الرومانسية كرد فعل على الثورة الصناعيّة وعصر التنوير وتقزيم الخيال والتقاليد والأديان في مقابل الاستخدام المفرط للعقلانية التي رسمت بلا أدنى مشاعر مصيرا مجهولا للبشرية بعد الحروب النابليونية. ظهرت كنوع من الحرية، وكحاجة ماسة للهرب بعيدا، للهرب من قيود العقل والتنوير التي خنقت الخيال.

وقد سمي هذا العصر بما قبل الرومانتيكية (The pre/romantique era) وقد سئم الناس بعد هذا العصر من العقلانية الشديدة، فبدأت الكتابة في الشعر بشكل جديد من حيث التفعيلات ونظام القافية كما التجأت المواضيع إلى الطبيعة والتعبير عن الانسان وهمومه وجعله المركز والمحور في المواضيع الأدبية ، كما كان الاهتمام بالبحث عن سر الحياة والموت وهو ما أدي لبروز مدارس جديدة في الكتابة الأدبية من أمثال الشعراء روبرت بارنز (1759. 1796) الأسكتلندي، والشاعر ولـــــيام بليك (1757. 1827) الإنجليزي والتي كانت أشعارهم ممهدا للرومانسية .

إن محاولات التجديد في الكتابة الأدبية عموما وفي الشعر على وجه الخصول تجسد في ظهور مدرستين بارزتين في الكتابة الشعرية وهما:

1. المدرسة الطبيعية أو الطبوغرافية Topographical Poetry: من خصائص أشعارها التأمل، ومن شعراء هذا التوجه جيمس تومسون وقد كتب قصيدة عن الطبيعة عنوانها الفصول(The seasons) وابتدأت بقصيدة (Winter) الشتاء نشرت عام 1726، وهي بداية الشعر الطبيعي وقد نجحت القصيدة نجاحا باهرا فكتب الشاعر سلسلة منها تضم الفصول الأربعة سنة 1730.

2. المدرسة الثانية وهي المدرسة شعراء القبور Grave yard poets: وتسمى أيضا مدرسة شعراء المدافن والمقابر، تتعلق أشعارها بكل ماله صلة بالموت ، والتأمل فيه من اشهر شعراء هذا التوجه هو توماس قراي في قصيدته (مرثية كتبت في فناء كنيسة في الريف Elegy written in a country churchyarde 1751 من مميزات هذا التوجه هو بداية ظهور

بوادر الحداثة في كتابة الشعر فقد خرجوا عن سيطرة الشاعر ألكسندر بوب وبداية كتابة الشعر الحر(blank verse) والابتعاد عن نموذج الشعر البطولي (وهو شكل تقليدي للشعر الإنجليزي يستخدم بشكل شائع في الشعر الملحمي والشعر السردي ويتكون من زوج من الخطوط المقافية في خماسي التفاعيل، كان استخدام المقطع البطولي رائدا من قبل جيفري تشوسر في أسطورة النساء الصالحات وحكايات كانتبري، ويعتبر بشكل عام أنه تم إتقانه بواسطة جون درايدن والكسندر بوب في عصر الاستعادة واوائل القرن18.

وعدت سنة 1751 السنة التي وضعت فيها المدرسة الجديدة قواعدها والتي عدت الارهاصات الأولى للكتابة الرومانسية، وفيما يلي نموذج عن قصيدة مرثية كتبت في فناء كنيسة في الريف:

The fourteenth stanza is the one that I would like to focus on first.

Full many a gem of purest ray serene,
The dark unfathomed caves of ocean bear:
Full many a flower is born to blush unseen,
And waste its sweetness on the desert air.

يقول ديل ديورانت في قصة الحضارة عن توماس جراي: ألبس جراي الاكتئاب الرومانسي لبوساً كلاسيكياً دقيق النحت، مستبدلاً بمقطوعات ألكسندر بوب الزوجية العالية الرنين رباعيات هادئة تتحرك في وقار شجي. طبقت شهرته الآفاق حيناً. فانعقد الإجماع في 1757 على أنه يقف على قمة الشعراء الإنجليز، وعرضت عليه إمارة الشعر فرفضها. وقال فيه كوبر متخطياً ملتون إنه الشاعر الوحيد بعد شكسبير الذي يحق له أن ينعت شعره بالسمو. أما آدم سميث فأضاف متخطياً شكسبير إن جراي يضيف إلى سمو ملتون أناقة بوب وتناغمه، ولا ينقصه شيء ليكون ربما أول شاعر في اللغة الإنجليزية، ألا يكون قد نظم شعراً أكثر قليلاً مما فعل. وأعجب جونسن بالمرثية، ولكنه كان يملك من العلم ما عله يجد عشرات العيوب في القصائد الغنائية. ''إن لجراي ضرباً من الوقار المختال، وأني لأعترف أنني أتأمل شعره برضى أقل مما أتأمل حياته''.

أما الشاعر الآخر فهو روبرت بارنز Robert Burns(1759-1796) وعاش حياته فقيرا جدا و، عمل وهو في سن 13 نبغ في الشعر الغنائي ولا زالت أشعاره تغنى إلى اليوم وقد كتبت باللغة الأسكتلندية الرائعة، واعتبر يوم 25 يناير يوما وطنيا للاحتفال بمولده فيقرؤون أشعاره ويحيون فيه ذكراه من بين قصائده:

For a' That and a' That

وهي قصيدة يصف فيها كرامة الفقراء ومن لهم القدرة على تحدي سلطة وطغيان الطبقة العليا يقول:

Is there, for honest poverty,
    That hings his head, an' a' that?

The coward slave, we pass him by,
We dare be poor for a' that!
For a' that, an' a' that,
Our toils obscure, an' a' that;
The rank is but the guinea's stamp;
The man's the gowd for a' that,

What tho' on hamely fare we dine,
Wear hoddin-gray, an' a' that;
Gie fools their silks, and knaves their wine,
A man's a man for a' that.
For a' that, an' a' that,
Their tinsel show an' a' that;
The honest man, tho' e'er sae poor,
Is king o' men for a' that.

وله أيضا قصيدة عاطفية أخرى هي الأشهر وهي وردة حمراء وقد غناها الكثير من المطربين والشاعر الآخر هو وليام بليك (1757- 1827) الذي عاش هو أيضا فقيرا وعمل بميدان الطباعة من أعماله ديوان البراءة وقصيدة الحمل وأغاني الخبرة ومنه قصيدة النمر.

تمير العصر الرومانسي بظهور التجديد على مستوى الموضوعات وكذلك الإيقاع وظهر ذلك مع ألكسندر بوب ، وهناك من يقول أنها بدأت في 1780 مع وليام بليك ، وهناك من يقول بدأت مع وليام ورد زورث (1770- 1850) وساموبل كلوريدج (1772 -1834) كانت كتابتهما بالفعل متسمة بخصائص الرومانتيكية حتى وإن لم تعطى الاسم لهما. الحركة الرومانتيكية ولدت فعليا عام 1798 لأنها السنة التي اتفق فيها الشاعرين على اخراج ديوان لهما معا هو Lyrical Ballads1800 والذي طبع ثلاث مرات حتى سنة 1803وقد ضمن في الطبعة الثالثة خصائص الحركة الرومانسية.

من صفات عصر ماقبل الرومانتيكية:

رفض الثورة الصناعية

رفض حياة المدينة (لأنها أصل الشرور والكبرياء والغرور، وأن البراءة لا توجد إلا في الطبيعة)

رفض النزعة العقلية

تأثر الشعراء الانجليز بالثورة خاصة الفرنسية ومنهم وليام وردزورث وكلوريدج لكنهم انسحبوا من مجالها وانعزلوا عن المجتمع بعدما عايشوا تحول مسارها من الحق إلى الباطل عندما أصبح هم الثوار هو الانتقام العشوائي والقتل الغير مبرر وقد سميت بعصر الإرهاب واعتزل الشاعران في منطقة ريفية بعيدة في انجلترا وأطلق عليهم اسم الشعراء السلبيين لأنهما لم ينخرطا في الثورة ، لكن بعدها جاء جيل الشباب والذين اطلق عليهم اسم الشعراء الفاعلين ومن بينهم اللورد بايرون وشيلي وكيتس وهم الجيل الذي كان مليئا بالثورة الداخلية وأحاسيس الثورة والرفض ، واتجهو إلى تقاليد القرون الوسطى والطبيعة ورأو أن الرغبة الأنبل للإنسان تقدمها الطبيعة وهي حب الجمال، وهي التي تساعدنا على الارتقاء لأنها حسبهم تجسيد لروح الإله فهو قد أثبت قدرته من خلالها، ويمكن من خلال ذلك التمييز بين كل من التوجه للكلاسيكية الجديدة وبين الرومانتيكية من خلال العناصر التالية:

. الكلاسيكية الجديدة قائمة على العودة للحضارة الرومانية القديمة ويونانية واللاتينية ونراها من خلال ترجمة ألكسندر بوب عندما ترجم ملحمة هوميروس وكذلك من خلال الشعر البطولي، كما ركزت الكلاسيكية الجديدة على وصف ظواهر الأشياء وركزت على النظام في القصيدة سواء الإيقاع والتفعيلات، أمان حيث الموضوعات فقد ركزت على حياة المدينة ورأت أن العقل هو مصدر الوحي المقدس.

أما الرومانتيكية فقد تميزت برجوعها إلى القرون الوسطى لأنها اهتمت بالخيال والايمان بالأرواح والجن والتي تجسدت في الرواية القوطية، أما من حيث نظام القصيدة فقد اعتمد الشعر الرومانسي على البحور الشعرية الأكثر خفة والأكثر جدية مثل شعل وليام بليك ووردزورث ، وركزت على المشاعر الداخلية للشاعر وما تركته من أثر داخل هذه النفس، كما لم تركز على النظام الشديد في القصيدة واعتمدت على الوحدة العضوية وبساطة الموضوع وتصوير حياة الريف واعتمدوا على الطبيعة كمصدر للوحي المقدس ، والتركيز على الخيال على اعتبار أنه ملكة الملكات وكأنه أساس الفن وشكل أعلى للمعرفة يسمح ببلوغ الجمال الأمثل والشامل[3] وتصوير كل شيئ بسيط شرط أن يؤثر فيهم .ويمكن اجمال أهم خصائص العصر الرومنسي في :

خصائص العصر الرومانسي

1. Media alisme: العودة للعصور الوسطى والاستلهام من القصص الرومانسية، وروح ذلك العصر (كاالخرافات ، الجن الأرواح ، وكل ماهو خارج الطبيعة)

2. Mysticisme (التصوف) ، ليس مجرد وصف الشيء من الخارج وإنما وصف الشاعر من الداخل (مشاعره) ونظرته للطبيعة على أنها وصلة بينه وبين الخالق.

3. Sensibilité : الإحساس، أي التركيز على الخيال ووصف الأشياء العادية لكن بوصف راق بواسطة الخيال.

[3] تاريخ الآداب الأروبية الجزء 2 ص 1514

4. Primitivisme est Individualisme: البساطة في كل شيء واستخدام اللغة البسيطة، وصف مشاعر الانسان الخاصة ويرون أن الجمال كله في اليساطة وتكمن الأخيرة في الطبيعة.

وتكمن خصائص الشعر الرومانسي حسب ورد زورث :

. الشعر يكتب بلغة بسيطة وسهلة يتحدثها كل الناس العاديين the language spoken by men ، على عكس العصر الكلاسيكي الذين كانوا يستخدمون لغة متعالية بلاغية (وردية) مثل كلمة feathery flock

السرب المريش أو ذو الريش والمقصود به الطيور، أو يصفون السمك بقولهم finny tribe (القبيلة ذات الزعانف) والمقصود به السمك.

ويمكن القول أن العصر الرومانسي تجسد في كتابة الشعر من خلال العلمين كلوريدج وورد زورث بما قدماه في مؤلفاتهما عن الشعر والتنظير له بكتابة أهم خصائص الكتابة الشعرية الرومنسية وفيما يلي نبذة عن الشاعرين واللذين اعتبرا من الشعراء السلبيين لأنهما انسحبا من الحياة السياسية و الثورة بعد معاصرتها لذلك التحول الذي عرفته الثورة الفرنسية.

كلوريدج (صامويل تايلر)

الشاعر والناقد صموئيل تَيلر كولردجSamuel Taylor Coleridge ، هو أحد أبرز وجوه الحياة الثقافية الإنكليزية في الحقبة الإبداعية (الرومنسية)، وأحد أهم منظِّريها. وتعد بعض مؤلفاته . مثل قصيدة «البحار العجوز» التي استهل بها ديوان «قصائد غنائية»، الذي نشره مشاركة مع الشاعر وليم وردزورث[ر] W.Wordsworth وتنظيره في الشعر في «السيرة الأدبية»، التي تقع في المركز الثاني بعد «فن الشعر» لأرسطو من حيث التأثير في الشعر الإنكليزي . من أهم إنجازات تلك المرحلة ونموذجاً يحتذى، ومرشداً لكل من انتمى إلى تلك المدرسة في إنكلترا.

ولد كولردج في بلدة أوتري سانت ماري Ottery St.Mary في مقاطعة ديفونشِر Devonshire، وكان منذ طفولته قارئاً نهماً. التحق بجامعة كمبرِدج، إلاّ أنه لم يتم دراسته فيها بسبب حياته العاصفة وفكره المتوقد الثائر المتعاطف مع مبادئ الثورة الفرنسية. تعرف في لندن روبرت سَذِي R.Southey وتزوج نسيبته وخططا معاً لإقامة مجتمع طوباوي في الولايات المتحدة، إلا أن المشروع أخفق في مهده، ثم تعرف وردزورث وأختَه دوروثي عام 1795، فكان ذلك محرضاً لعبقرية الشاعرين الكبيرين، وزارا معاً ألمانيا حيث بقي كولردج للدراسة في جامعة غوتينغن Göttingen فاطّلع على مؤلفات كانْت وشليغل وشيلنغ وعلى فكر التعالي Transcendentalism، والإبداعية الألمانية، وكان لكل ذلك تأثير واضح في فكره وشعره. زار العديد من بلدان أوربا وعمل في مجالات مختلفة، إلا أنه استقر أخيراً في إنكلترا، وصارع المرض والإدمان على الأفيون، وتوفي في هايغيت Highgate بالقرب من لندن.

عمل كولردج على تأسيس صحف دورية عديدة، إلا أن أياً منها لم يدم أكثر من بضعة شهور. وكان أول إنجاز أدبي له ديوان «قصائد حول موضوعات مختلفة» Poems on Various Subjects (1796)، ثم «قصائد» Poems

(1797)، إلا أن إنجازه الأبقى هو الذي تمخض عن تعاونه مع وردزورث عامي 1797-1798، في ديوان «قصـائد غنائية» Lyrical Ballads (1798) الذي ضم «قصيدة البحار العجوز» Rime of the Ancient Mariner، واعتمد فيها شكل البالادة[ر]. وتروي القصيدة حكاية عودة بحار من رحلة طويلة حافلة بالصعوبات بسبب قتله طائر قطرس بغير وجه حق، فتحل اللعنة على سفينته ويموت جميع زملائه، ويظل البحار وحيداً إلى أن يتوصل إلى التوبة ويكتشف قيمة كل شيء حي فيحصل على المغفرة والخلاص. وتمثل هذه القصيدة خلاصة الفكر الإبداعي في أوجه الذي يقول بوحدة الوجود وتمثُّل الخالق في خلقه. ويعدّ النقاد هذه القصيدة أفضل وأكمل نص خيالي إبداعي في الشعر الإنكليزي. وكان كولردج قد بدأ في الفترة نفسها كتابة قصـائد «كريسـتابل» Christabel و«قُبلا خان» Kubla Khan التي تميزت بالروح الشـفافة نفسـها والرؤية الإبداعية النافذة والأسلوب المتألق المبهر. وينقل الشاعر القارئ في هذه القصائد كلها إلى عالم خيالي مسحور يقع ما بين الحلم واليقظة في شعر غني بالقوافي الاستهلالية والداخلية وبالجناس والطباق.

ترجم كولردج جزأين من ثلاثية شـيلّر «فالنشـتاين» (1800) Wallenstein، وكتب في عام 1802 «الاكتئاب: قصيدة أود» Dejection: An Ode خصصها لسارة هتشِنسون S.Hutchinson أخت زوجة وردزورث التي أحبها كولردج، يصف فيها حالته النفسية في تلك الفترة من حياته ويشكو فقدان قدراته الشعرية. أما في مجال النقد فقد كتب «السيرة الأدبية» Biographia Literaria (1817) التي ضـمّنها خلاصـة فكره حول الشـعر، والخيال والمخيلة وأثرهما في العمل الإبداعي بإطلاق العنان لهما عن طريق «التعليق الإرادي للتكذيب» suspension of disbelief، وحول إيقاظ العقل من «سبات الاعتياد» lethargy of custom، ورؤية الكون بمنظار متحرر من هذا الاعتياد القاتل للإبداع.

كان كولردج مأخوذاً بالمسرح، فكتب في عام 1797 مسرحية «أوسـوريو» Osorio، إلا أن شِـريدان رفضـها، فأعاد كولردج كتابتها وقُدمت على مسرح دروري لين Drury Lane تحت عنوان «تأنيب الضـمير» Remorse عام 1813، فحققت نجاحاً لابأس به. كان أيضاً أبرز نقاد شكسبير، على الرغم من بعض المآخذ عليه في ذلك، وألقى العديد من المحاضرات حول المسرحي والشـاعر الكبير في كل من لندن وبريسـتول Bristol، وكان بذلك من المؤسـسين للنقد الشـكسبيري في القرن التاسع عشر، خاصة فيما يتعلق بتحليله الشخصيات الرئيسية مثل هملت.[4]

وردزوَرث (وليم .) (1770. 1850)

وليم وردزوَرث William Wordsworth هو الأديب الإنكليزي الأوسع نفوذاً في الشعر الإنكليزي مع صديقه الشاعر صموئيل تيلر كولرِدج، ومن رواد الحركة الإبداعيةإذ أرسيا قواعدها معاً. وكانت أخته الكاتبة دوروثي وردزوَرث Dorothy Wordsworth المحرِّض الأول لعبقرية الشاعرين، وهي التي أرَّخت في يومياتها الكثيرة لحياتيهما وإبداعهما.

[4] الموسوعة العربية ، الآداب الجرماني المجلد 16 ص 587

كان لنشـأة وردزوَرث في منطقة البحيرات Lake District ـــ أجمل مناطق شمال غربي إنكلترا قرب سـاحل البحر الأيرلندي ـ أثر كبير في حبه للطبيعة ومظاهرها كافة. كانت ولادته في بلدة كوكرمُث Cockermouth، أما وفاته فكانت في منزله المسمى «رايدَل ماونت» Rydal Mount في بلدة غراسمير Grasmere، حيث دفن في مقبرة كنيستها.

تشتتت عائلة وردزوَرث بعد وفاة والديه؛ فقد أُرسلت أخته دوروثي للعيش مع جدتها، في حين أُرسل مع إخوته للدراسة في بلدة أخرى، حيث درس اللغات والأدب والرياضـيات وجال في أوقات فراغه في غابات المنطقة وجبالها، كما جال لاحقاً في أرجاء بقية إنكلترا واسكتلندا ومن ثم في أوربا. انتسب إلى جامعة كمبردج وتخرج فيها عام 1791، وقام برحلة سيراً على الأقدام في فرنسا أيام الثورة، وصار مناصراً للجمهورية، وارتبط هناك بفتاة فرنسية أنجبت منه بنتاً لم يرها إلى أن بلغت التاسعة من عمرها بسبب توتر العلاقات بين إنكلترا وفرنسـا في تلك الفترة. كان بعد تخرجه عاطلاً عن العمل مفلساً وتعرف الفيلسـوف الراديكالي وليم غودوين William Godwin والد ماري شِلي، وتعاطف مع أفكاره المثالية حول مناصرة الضعفاء والمسحوقين وضرورة الإصـــلاح وإحلال العدالة في المجتمع. تزوج عام 1802 زميلته في المدرســـة منذ الصـــغر ماري هتشِـــنســـون Mary Hutchinson وأنجبت له أربعة أطفال توفي منهم اثنان عام 1812، وكان أخوه الأوســـط قد توفي غرقاً في عام 1805، ويبدو تأثير هذه الأحداث واضحاً في شعره.

التم شمل وردزوَرث وأخته دوروثي في عام 1795 واسـتقرا في أولفوكسـدْن هاوس Alfoxden House بالقرب من مدينة بريسـتول Bristol جنوبي إنكلترا، ولم يفترقا بعد ذلك حتى وفاته. تعرف هناك الشـاعر كولرِدج وأقاما معاً شـراكة غيرت مجرى حياتيهما، وسيرورة الشعر الإنكليزي، ونجم عنها أفضل إبداعاتهما. فقد انصرف وردزوَرث عن كتابة القصـائد الطويلة التي أخذت الحيز الأكبر منذ أيام دراسته في كمبردج، مثل القصيدة الاجتماعية «سهل سولزبْري» Salisbury Plain والوصفية «مسـيرة مسـائية» An Evening Walk ت(1793)، إلى القصـائد الغنائية القصـيرة التي خصـص العديد منها لأخته وللطبيعة، وتحلت بالبسـاطة والعاطفة الصـادقة. وكان ذلك كله ضـمن برنامج وضـعه الشـاعران للتحرر من قيود الاتباعية الجديدة Neoclassicism ولتحدي الذوق المتدهور السـائد آنئذٍ. نُشـرت هذه القصـائد في مجموعة صـغيرة بعنوان «قصـائد غنائية» Lyrical Balladsت (1798)، وكانت أولاها قصـــيدة «البحار العجوز» The Ancient Mariner لكولرِدج وآخرها «كنيسة تِنتَرن» Tintern Abbey التي كانت مع بقية قصائد الديوان ـــ عدا ثلاثة ـــ لوردزورث، ففتحت بذلك صفحة جديدة في الشعر الإنكليزي.

لم يتلق النقاد هذا الديـوان الذي نُشر مغفلاً اسمي الشاعريـن بأي إيجابية تذكـر، بل هوجـم وشكك بقيمته، في حـين كان الثلاثـة ـ وردزوَرث وأخته وكولرِدج ـ يجولون في ألمانيا. وكان شتاء ذلك العام 1798ـ 1799 قاسياً فانعزل وردزوَرث وأخته عن العالم في بلدة غوسْـلار Goslar، وانكفأ الشـاعر على ذاته وعلى الذاكرة معتمداً ما أطلق عليه تسـمية «بقع زمنية» spots of time يغوص فيها في أعماق ذاته مسـترجعاً مخزونات الذاكرة. وكان الشـاعر قد اعتمد هذه التقنية في قصـائد سـابقة، مثل

«قصائد لوسي» Lucy Poems و«المقدمة» The Prelude في جزأيها الأول والثاني، ونجم عن ذلك أفضل شعر هذه الحقبة في قصائد مثل «لوسي غري» Lucy Gray و«النافورة» The Fountain.

صدرت الطبعة الثانية من «القصائد الغنائية» عام 1800 وضمت قصائد جديدة، إلا أن الأهم من ذلك كان تضمينها مقدمة Preface في الدفاع عن آراء مؤلفيها في وجه الهجوم العارم من قبل النقاد. ويمكن عدّ هذه المقدمة بياناً للحركة الإبداعية الإنكليزية حدد فيه وردزوَرث غرضه من الوقوف في وجه الاتباعية الجديدة المتصلبة، من أجل بث الحياة في الشعر عن طريق معالجة الأمور اليومية بلغة الناس المتداولة ومنح الأولوية للتدفق العفوي للإحساس والعاطفة الأصيلة. كل ذلك من أجل سبر أغوار الطبيعة التي يتجلى فيها الخالق، وأيضاً لسبر أغوار النفس البشرية بعقلها وخيالها، وصولاً إلى «الروح المحركة» moving soul اعتماداً على علم نفس التداعي الحسي sensationistic-associationistic-psychology الذي أخذه وردزوَرث عن لوك وهيوم وديڤيد هارتلي David Hartley.

كان لتعاون وردزوَرث وكولرِدج نتيجة أخرى تمثلت في وضع خطة لقصيدة ملحمية تعالج العلوم والفلسفة والدين أطلقا عليها تسمية «الناسك» The Recluse. كتب وردزوَرث بعض أجزاء هذه القصيدة، مثل «الكوخ المهدم» The Ruined Cottage ت(1797) التي ألّفت مع غيرها ديوانه الثاني «قصائد في مجلدين» Poems, in Two Volumes ت(1807) وكانت من أفضل شعر هذه المرحلة. وبما أن كتابة هذه القصيدة الملحمية قد وقعت على كاهل وردزوَرث أدرك مدى صعوبتها وتخلى عن تلك الخطة وبدأ كتابة قصيدة أخرى أخذت ذات المنحى الفلسفي بعنوان «المقدمة، أو نمو ذهن شاعر» The Prelude, or Growth of A Poet's Mind لم تنشر إلا في عام 1850 عقب وفاته، أي بعد أكثر من نصف قرن من البدء بها. والقصيدة ملحمة من ثمانية آلاف بيت في السيرة الذاتية، منذ أيام دراسته وأسفاره حتى استقراره في غراسمير، تسير بحركة دائرية تبدأ عند النهاية حين كان الشاعر في التاسعة والعشرين من عمره رجوعاً إلى البداية والطفولة، ويمجد فيها الخيال مَلَكةً تسيطر على ملكات العقل والحواس.

بدأ شعر وردزوَرث بعد عام 1805 يتميز بالقوة التي وسمت شعر ملتون، والتي كانت قد ظهرت أولى ملامحها في «كنيسة تِنترن». وكتب في عام 1807 بعض أفضل قصائده مثل «مقاطع رثائية» Elegiac Stanzas و«أُوْد إلى الواجب» Ode to Duty التي أخذ فيها موقفه الرواقي من الحياة عن سينيكا وهوراسيوس وكانْت، و«أُوْد: مؤشرات الخلود من ذكريات الطفولة المبكرة» Ode:Intimations of Immortality from Recollections of Early Childhood التي بحث فيها في زوال الطفولة والبراءة والشباب والتحول الذي يطرأ على الإنسان في مراحله كافة، ثم تقبل هذا التحول والزوال لأن الطفل سيبقى «والد الرجل» وهي نظرة مفعمة بالتفاؤل.

نُشرت الأجزاء التي كتبها وردزوَرث من «الناسك» في عام 1814 بعنوان «النزهة» The Excursion، كما نشرت السونيتات التي كتبها عن الطبيعة في منطقة البحيرات في مجموعة «نهر دَدُن» The River Duddon ت(1820)، مما وطد شهرته لدى القراء والنقاد على حد سواء في ثلاثينيات القرن حتى صار في عام 1843 شاعر البلاط الرسمي.

تراجعت عبقرية وردزوَرث الشعرية مع تقدمه في السن وأخذت مشاعر المحافظة وتقدُّم الكهولة تحل محل اندفاع الشباب وثورته. وأعاد كتابة «المقدمة» The Prelude غير مرة إلا أن ذلك لم يكن ذا جدوى، إذ ظل شعره الذي كتبه في النصف الأول من حياته هو الأفضل والأبقى. اختلف النقاد حول مكانته في الشعر الإنكليزي بين ليسلي ستيفن Leslie Stephen . والد فرجينيا وولف الذي لم يكن شديد الإعجاب به – وماثيو آرنولد الذي وضعه في المكانة الثالثة بعد شكسبير وملتون[5]

بعد هاذين الشاعرين كلوريدج وورد زورث جاء بعدهم جيل ثاني والذي أطلق عليه الشعراء الايجابيين وهم اللورد بايرون وشيلي وكيتس ، وهم من حملوا لواء الثورة والالتزام بمبادئها فانخرطوا في الحياة السياسية وادلوا بأرائهم وشاركوا في مختلف الثورات .

بايرون (جورج غوردن .)(1788 . 1824م)

اللورد جورج غوردن بايرون George Gordon, Lord Byron، من أشهر شعراء الإنكليزية، ولد في لندن من أسرة نورمندية الأصل، وكان والده معروفاً بغرابة طباعه، أما أمه فكانت امرأةً جياشةَ العاطفة وقد هجرها زوجها بعد خلافاتٍ جمّةٍ قامت بينهما. وقد أثَّر في طبع بايرون المجبول على التمرد عاهةٌ مستديمةٌ إثر التواءٍ في كاحل قدمه، فكان يعرج في سيره وكان ظاهرَ النزق، سوداويَّ المزاج، ولكنه كان يتمتع بحيوية متدفقة ترفدها موهبةٌ شعريةٌ متميزةٌ، وكان شعوره بالاستعلاء . وخاصة بعد أن ورث لقب لورد من عمه المتوفَّى، كما ورث أملاكه كلَّها . يدفعه إلى تحدي مجتمعه المحافظ تحدياً سافراً، وقد أنهى دراسته في مدرسة هارو Harrow School وجامعة كامبريدج، مخلِّفاً فيهما ذكرى شاعرٍ متقلّب المزاج. بيد أن شخصيته لم تنضجْ وموهبته الشعرية لم تتضحْ إلا بعد قيامه عام 1809 بجولة واسعة في أوربة زار خلالها الكثير من البلاد وتعرّف الكثير من الناس منهم محمد علي باشا في ألبانية، فاتسعت له آفاق الإلهام، ونشر إثر عودته إلى بلاده «مسيرة حج هارولد الشاب» Childe Harold's Pilgrimage (1812) ، التي هيأت له شهرةً ذائعةً في أفراد طبقته الأرستقراطية. ومابين عامي 1813–1814 نظم قصائد «الكافر» The Giaour و«عروس ابيدوس» The Bride of Abydos و«القرصان» The Corsair، و«لارا» Lara و«حصار كورنثة» The Siege of Corinth، و«باريزينا» Parisina التي ظفرت بتقدير الأوساط الأدبية في لندن. وبدا نجمه الأدبي يسطع متألقاً وقد غذَّى شذوذَه وحساسيتَه بمظاهر أناقةٍ مصطنعةٍ كان يتكلَّفها ويزهو بها، وكان يُمثل في وهمه أن ثمة لعنةً تلاحقه وتجثم فوقه، وجلا ذلك في بعض قصائده بدقةٍ ظاهرةٍ. لم يكن قط موفقاً في حياته الزوجية، فقد عقد قرانه على فتاةٍ خشنةِ الطبع، هي آنابيلا ميلبانك Annabella Milbanke، لم تلبث أن زعمت أن له علاقةً مريبةً تشدُّه إلى أخته من أبيه أوغستا Augusta، ولم يدم زواجه سوى عامٍ واحد مخلفاً ابنةً وحيدةً، فقد افترقت عنه زوجته طالبةً الطلاقَ. أثار

[5] الموسوعة العربية، ألآداب الجرمانية، المجلد 22 ص 209

بايرون حفيظة طبقته المحافظة، فنُحِّي عنها، وساعدت في هذا الإشاعة المغرضة التي كانت تلوكها زوجته مدعيةً بأنه يميل إلى أخته جنسياً. وأكدت هذه الإشاعة قصيدتان نسبتا إليه، مما هاج عليه كوامن الكراهية والبغضاء، وطلّق زوجته عام 1816، وغادر وطنه نهائياً. سافر بايرون إلى بروكسل وزار ساحة واترلو . وكان شديد الإعجاب بنابليون . ومنها إلى جنيف حيث التقى الشاعر شلي Shelley و كلير كليرمونت Claire Calirmont، التي أحبها وولد له منها بنت عام 1817 لم تلبث أن توفيت وهي ما تزال طفلةً صغيرةً.

وتتابعت منذئذٍ أناشيد «مسيرة حج هارولد الشاب»، ثم استقرَّ بايرون في إيطالية، متنقلاً بين رومة والبندقية وجنوة والتقى مرة أخرى صديقه شلي، الذي غرق مع قاربه إثر عاصفةٍ عاتيةٍ عام 1822 قرب ليريتشي Lerici، وشهد بايرون حرق جثمانه، وقد حزن عليه حزناً موجَعاً، غير أنه لازم سرحَ اللهو والتبطُّل في إيطالية، ولم يلبث أن ملَّها. وحملته روحُه المتمردةُ وكلفه بالحرية على المشاركة في الحركات التحررية الإيطالية، فانضمَّ إلى حركة الكاربوناري (الفحامين) الداعية إلى تحرير إيطالية وتوحيدها، وتجلى نشاطه الأدبي في «نبوءة دانتي» The Prophecy of Dante (1821) وفي مأساة «دون جوان» Don Juan (1819- 1824). ثم ضاق بايرون بحياته العابثة، واتجهت نظراته إلى اليونان فأبحر من جنوة إلى ميسولونخي Missolonghi، ليشارك في ثورة اليونانيين على الأتراك العثمانيين، واستُقْبِلَ فيها استقبالاً حماسياً، منقَطِعَ النظير، غير أنه لم يستطعْ أن يشارك حقاً في الثورة، وألمَّ به وهنٌ شديدٌ وتوفي هناك، إثر إصابته برثية حادةٍ في مفاصله، رافقها التهاب السحايا، وحُمِلَ جثمانه في تابوت ليوارى في ثرى رمسه، بمسقط رأسه. هكذا آب الشاب التائهُ إلى وطنه، وخُتمت أسطورته شاعراً إبداعياً فذاً.

تعد «مسيرة حج هارولد الشاب» قمةً من أعظم قمم الإبداعية في الشعر الإنكليزي، وتنتظم في أربعة أناشيدَ، وقد نظم النشيدين الأولين منها عام 1809، وأتبعهما بالنشيدين الثالث والرابع، وتروي هذه الأناشيد رحلة حاجٍ مغامرٍ، ثائرٍ على الحياة الرتيبة، وتهفو نظراته إلى آفاق مستجدةٍ، في تركية وألبانية واليونان وإسبانية وبلجيكة. وقد تأثر بايرون، بالشاعر وُردزورث[ر] Wordsworth ولاسيما شغفه بمجالي الطبيعة ومغانيها، وبمنفسح السماء الرحيبة ومضطرب البحر اللجي، فقد كانت مفاتن الطبيعة تجذب عينيه كما يجذبُ النورُ الفراشَ، وتلخِّص هذه الأناشيد شخصيةَ بايرون الثائرة المتمردة التي تعكس سأمَ العصر ومتاعبه.

وأهم مزايا شعر بايرون أنه يجتذب قارئه بخيوطٍ خفيةٍ آسرةٍ، ويترقرق أسلوبُه في قصائده كلِّها ماءً وصفاءً وطلاوةً، وتتجلَّى في شعره نفسيتُه القلقة، فهو كالمرآة التي يعكس صِقالُها رهافَته ونرجسيتَه وفرديتَه، ومع هذا فإن أكثر شعره ــ كما يقول الكاتب الإيطالي جاكامو ليوباردي[ر] Giacomo Leopardi ينبجس من إرادته، وتمكُّنه من صياغة القصيد، أكثر مما يمليه إلهامه. فبطل قصيدته «القرصان» كونراد Conrad يماثل بايرون من نحوٍ ما، إنه نموذج البطل البايروني، فهو شرسٌ وحشيُّ الطبع، على النحو الذي جلته قصيدته «الكافر» فكأنه البركان الذي يقذف الحِمَمَ حتى يظفر بالنشوة الخالصة، فإنه يشغل نفسه بمناهضة مجتمعه، فهو أشبهُ بالقرصان أو قاطع الطريق وهو متمردٌ على مواضعات مجتمعه، هكذا تبدو المماثلة بين بايرون

ونماذج أبطاله، فهو مثلهم في اتِّقاد مشاعره، وفي يأسه وإحباطاته، ولكنه يخالفهم في ملامحه وقسماته. فكونراد قويٌّ، أما بايرون فأعرجُ، وضحكة كونراد أشبهُ بزمجرة الليث، أما ضحكة بايرون فتتدفَّق ـ كما قيل ـ رقةً وحلاوةً وعذوبةً، فكأن بايرون يتشوَّق، في قرارة نفسه إلى أن يماثل أبطالَهُ الذين جلتهم ريشتُه البارعةُ الملهمةُ. ويغلب على شعره مايتَّسم به طبعُه القَلِقُ من تناقضٍ، ولعل أصدق ماقيل عنه في هذا الصدد، ماذكره الكاتب الفرنسي باربي دورفييي[ر] Barbey Dص Aurvilly من أن بايرون يزأر كالأسد، بعضَ الشيء، حتى وهو يهدل كالحَمَام، ولكنه يظل دوماً، الأسدَ العاشقَ، هكذا يتَّسق للزئير والهديل، أن يكونا في شعره منسجمين، مؤتلفين.

ولعل صراحته الفجة في الكشف عن سرائر نفسه قد أساءت إليه كثيراً، وقد حسرت زوجته في مذكراتها عن بعض مساوئه التي غلبت على طبعه الطَّرِف المتقلّب، لاسيما علاقته بأخته لأبيه أوغستا إن صَحَّت. وتعكس قصيدة «مانفريد» (1822) Manfred، أهواءه وصباباته، ويقال إنه استوحاها من عشقه الآثم لأخته، إذ يتلاحم طيفها في ثنايا القصيدة، حين يعتصر مانفريد حبيبته عشتروت Astarte حتى يقضي عليها بضمته العتية، وقد بدا تأثير غوته[ر] في هذه القصيدة موازنة برائعته «فاوست» Faust. وعلى أي حال، فقد كان بايرون زيرَ نساءٍ وأسير صبابةٍ وهوى، وقد ألهمتْه حياتُه اللاهيةُ العابثة في إيطالية، ملحمة «دون جوان«، منتظمة في تسعة فصول، تضمُّ ستةَ عشر ألف بيتٍ ابتدأ كتابتها عام 1818، وتُعَدُّ في غُرر شعره وروائعه، وتعكس هذه الملحمة طباعَه وتجربتَه الحسيةَ وسخريته وعبث الأقدار به.

يقول غوته عن بايرون: «إن بايرون لا يسمو في شعره إلا حين يغني، أما حين يفكر، فإنه يتراءى كالطفل، وتنبثق خصالُه في مجملها من كونه إنساناً حساساً، سئم وطنه إنكلترة، وعافه وتحداه في نشدانه الغربةَ المضنِية التي استبدت به حتى نهاية حياته، ولايمكن قياسُ عبقريته فهو يمتلك قدرةً شعرية فذَّةً لم يؤلف مايماثلها لدى شاعرٍ آخرَ، حتى ليطاول شكسبير[ر] Shakespeare نفسه، بإحاطته بالعالم الخارجي وبميزته في النفوذ إلى دخائل الأشياء ونفضِها وتصويرها». وليس من ريب أن بايرون يعدُّ قمةً باذخةً من قمم الإبداعية في عصره، وقد تأثر به كثيرون من الشعراء الأوربيين، لعل أعظمهم شاعرُ روسية الكبير بوشكين[ر] Pushkin كما تأثَّر به بعض شعراء العرب.

شِلي (برسي بيش .)(1822.1792)

برسي بيش شِلي Percy Bysshe Shelley شاعر غنائي ودرامي وأحد رواد الحركة الإبداعية (الرومنسية) في الأدب الإنكليزي. كان الثائر والمتمرد الأزلي، مثله مثل مَن سبقوه ومهدوا له الطريق فيما عرف بـ «ما قبل الإبداعية» Preromanticism: برنز Burns وبليك Blake ومن ثم وردزوورث Wordsworth وكولرِدج Coleridge وأخيراً معاصراه بايرون Byron وكيتس Keats.

ولد شِلي في بلدة هورشام Horsham جنوبي إنكلترا لعائلة نبيلة غنية، وكانت وفاته في ليريتشي Lerici في إيطاليا التي أقام فيها آخر سني حياته القصيرة. درس في كلية إيتُن Eton المتميزة ثم في جامعة أكسفورد، وقد كان لطبيعته المختلفة عن

أقرانه وغرابة أطواره واهتمامه بالعلوم والسياسة دور في نشأته وتعليمه وآرائه المتطرفة. أولى اهتماماً خاصاً بكتَّاب عصر التنوير، مثل: أنطوان دي كوندورسيه Antoine de Condorcet ووليم غودوين William Godwin الذي نادى في كتاباته بضرورة الثورة والتوزيع العادل للثروات. تعرف شِلي في أكسفورد توماس جفرسون هوغ T.J.Hogg وكتبا معاً رسالة بعنوان «ضرورة الإلحاد» The Necessity of Atheism ت(1811) وزَّعاها على الكنائس والكليات، مما أدى إلى طردهما من الجامعة وإلى خلاف حاد مع أبيه المحافظ، زاد من حدته هروبه وزواجه فتاة من العامة لا تتجاوز السادسة عشرة من عمرها تدعى هاريت وستبروك Harriet Westbrook والتي استقر وإياها في منطقة البحيرات الإنكليزية، حيث تعرّف الشاعرين وردزوورت وكولردج، وانكب على القراءة ودراسة الأدب الكلاسيكي.

تعرف شِلي في عام 1812 وليم غودوين، الذي كان كتابه «استفسار حول العدالة السياسية» An Enquiry Concerning Political Justice ت(1793) منارة أضاءت مسيرة الشاعر الشاب، وكان لعلاقتهما الأثر الأبرز في حياته وفكره؛ فقد انفصل شِلي عن زوجته وأبدى اهتماماً بابنة غودوين «ماري»، وهرب وإياها إلى فرنسا عام 1814 ثم إلى سويسرا وإيطاليا، ثم تزوجا عام 1816 بعد انتحار زوجته الأولى، ورزق من زوجتيه عدة أطفال توفوا جميعاً في صغرهم عدا واحداً.

كتب شِلي قصيدته الطويلة الأولى «الملكة ماب» Queen Mab عام 1813، وضمَّنها برنامجه ومواقفه الأساسية وآراءه التحررية، فلم يجرؤ أحد على تولي طباعتها، ففعل ذلك بنفسه ووزعها على أصدقائه. ثم كتب «آلاستور أو روح الوحدة» Alastor; or, The Spirit of Solitude، استوحاها من رحلة قام بها في نهر التيمز، وتحكي قصة شاب حالم مغامر يبحث عن الجمال المثالي، وأيضاً قصيدته الكبيرة «ترنيمة إلى الجمال الفكري»Hymn to Intellectual Beauty التي يمكن أن تعد تقريراً حول حالة الشاعر النفسية والفكرية.

بعد استقرار شِلي في إيطاليا بدءاً من عام 1818 كتب جلَّ وأفضل مؤلفاته، فظهرت «بروميثيوس طليقاً» Prometheus Unbound ت(1820)، وهي دراما غنائية في أربعة فصول كتبها بين عامي 1818 ــ 1819، وقام بناؤها على أساس مسرحية أسخيلوس «بروميثيوس مقيداً» Prometheus Bound، وقد عدَّها الشاعر إعلاناً لاستقلال الإنسان، ومن أفضل ما كتبه، جمع فيها بين فلسفة أفلاطون ومبادئ الثورة الفرنسية وآخر ما توصلت إليه النظريات العلمية، ويعرّف في مقدمتها المتمرد: أنه أنموذج للكمال الأخلاقي تدفعه «أنقى وأسمى الدوافع للوصول إلى أفضل وأنبل النتائج». وتحكي المسرحية قصة البطل الذي وهب النار للبشر ومعاقبة الآلهة له على فعلته، وهي أيضاً قصة الصراع الأزلي بين الخير والشر، والبحث عن الحب والجمال والحقيقة، والدعوة إلى التمرد على السلطة التي تسحق الإنسان، وأهزوجة لانتصار هذا الإنسان على الطغيان بأشكاله كافة.

كتب شِلي أيضاً «آل تشنشي» The Cenci ت(1820)، وهي مأساة شعرية في خمسة فصول، تحكي قصة عائلة تشنشي الرومانية، التي جرت حوادثها في نهاية القرن السادس عشر، حول إساءة رب العائلة الطاغية فرانشيسكو تشنشي لأفراد عائلته، وخاصة ابنته بياتريشه، والعقاب الذي يلقاه بتحريض منها، وتواطؤ الكنيسة في طمس الحقيقة، وتسمو شخصية بياتريشه فيها إلى مصاف أهم الشخصيات التراجيدية النسائية. وبغرض إعطاء القصة المصداقية، ادعى شِلي أن المخطوطة الأصلية التي بنى على أساسها هذا المؤلف وصلت إليه عن طريق أحد الأصدقاء، ومع ذلك لم تلق المسرحية أي نجاح؛ إذ إنها كتبت لتقرأ لا لتمثل.

كتب شِلي قصائد طويلة أخرى منها «روحٌ من روحي» Epipsychidion ت(1821) نحت عنوانها من اليونانية، حول فتاة إيطالية أدخلها أهلها الدير قسراً، ورأى فيها مثالاً وتوأماً روحياً لـــه، كما كتب «أدونيس» Adonais إثر وفاة الشاعر كيتس، وهي واحدة من أهم الرثائيات في الشعر الإنكليزي، إذ رأى شِلي أن النقاد هم قتَلَةُ كيتس. كتب أيضاً قصيدة «اليونان» Hellas حول كفاح اليونان من أجل الاستقلال، وتتميز بأغاني الجوقة فيها. ومن قصائده القصيرة المعروفة «أوزيماندياس» Ozymandias و«إلى قُبَّرة» To a Skylark و«أود إلى الريح الغربية» Ode to the West Wind.

كتب شِلي النثر أيضاً ونادى في مقالته «نظرة فلسفية إلى الإصلاح» The Philosophical View of Reform ت(1820) بضرورة التغيير السياسي والاقتصادي في إنكلترا، إلا أنها لم تُنشر إلا بعد قرن من الزمن. ولعل نظريته في الشعر التي ضمنها مقالته «دفاع عن الشعر» A Defence of Poetry ت(1821)، والتي لم تنشر إلا في عام 1841، أهم كتاباته النثرية، وتعبر عن توجهه الذي قال بقدرة الشعر على تغيير البشرية.

كان لحياة شِلي الخاصة، ودعوته إلى الثورة والإصلاح وإلى أخذ الثورة الفرنسية مثالاً يحتذى دور رئيس في نبذه من بيئته الإنكليزية الرجعية المحافظة، بل المتحجرة، فحورب ودُفع به وأمثاله إلى المنفى. كان أفلاطونياً مثالياً باحثاً عن جمهوريته الفاضلة، وصل إلى الذروة في رؤيته لكمال الإله «الواحد» في «آدونيس» وفي نظرته إلى الطبيعة المتجددة، الآخذة المعطاء، «المدمرة. الحافظة» عبر صوره البلاغية في «أود إلى الريح الغربية». ويكتنف شعره ألوان هذه الطبيعة، وأصواتها بلغته ذات الأطياف والأجراس التي قورنت بسمفونية موسيقية في «بروميثيوس طليقاً». وكان شِلي سيد الوزن والقافية، ووضع اللغة في خدمة الشعر في قصائده الطويلة والقصيرة على اختلاف أشكالها التي ابتكر منها الكثير.

توفي شِلي وصديق له إثر غرق قاربه مقابل ساحل ليفورنو Livorno في إيطاليا، بعد أن عاش حياة حافلة عابثة عاصفة. وبحضور بايرون وبعض الأصدقاء أحرقت رفاته على شاطىء البحر، ثم دفنت في المقبرة البروتستنتية في روما إلى جانب صديقه كيتس.

كيتس جون .(1795. 1821)

جون كيتس John Keats هو أحد شعراء الحركة الإبداعية[ر] (الرومنسية) في الشعر الإنكليزي. ولد في لندن وكان أكبر أخوته، وتوفي والده وهو في سن التاسعة، فتزوجت أمه من جديد وعهدت بأولادها لجدتهم، إلا أنها عادت إليهم عند طلاقها، وأصيبت بمرض السل فقام كيتس على العناية بها حتى وفاتها عام 1810. تعلم في مدرسة بلدة إنفيلد Enfield القريبة من لندن، ثم تتلمذ على يد جراح، ودخل في عام 1815 مشفى غاي Guy في سَذرك Southwark لدراسة الطب. توفي أحد أخوته أيضاً بمرض السل عام 1818، وأصابته العدوى هو الآخر من جراء عنايته به. عانى المرض كثيراً فنصحه الأطباء بتغيير الجو الإنكليزي إلى جو أكثر دفئاً فرحل إلى إيطاليا، إلا أن إقامته فيها لم تدم سوى بضعة أشهر توفي بعدها في روما وهو في الخامسة والعشرين، ودفن في مقبرتها البروتستنتية.

على الرغم من دراسة كيتس العملية فقد كان الشعر هاجسه، وكان أول إنجاز له في هذا المجال سونيتة «إلى الوحدة» To Solitude التي نشرها الشاعر لي هَنت L.Hunt في دوريته «إكزامنر» The Examiner عام 1816. وفي صيف ذلك العام، بعد قراءته أعمال هوميروس[ر] بترجمة جورج تشابمان G.Chapman، كتب كيتس سونيتة «نظرة أولى إلى هوميروس تشابمان» On First Looking into Chapman's Homer التي نشرت أيضاً في «إكزامنر» ضمن مقالة هَنت «شعراء شباب» Young Poets مدح فيها كلاً من شِلي[ر] وكيتس؛ ما حدا بالأخير إلى ترك دراسة الطب والتحول كلياً نحو الشعر. نشر في العام التالي ديوان «قصائد» Poems، وبدأ كتابة أول قصيدة طويلة أطلق عليها تسمية «إندِميون» Endymion عام 1818، وهي ملحمة شعرية لم يقابلها النقاد بأي حماسة تذكر؛ فشرع بكتابة «هايبريون» Hyperion التي صدرت لاحقاً بعنوان «سقوط هايبريون: رؤيا» The Fall of Hyperion: A Dream وظلت غير مكتملة.

كان عام 1819 معطاءً إذ كتب كيتس في أثنائه أفضل شعره، مثل القصيدة الغنائية «حسناء بلا رحمة» La Belle Dame Sans Merci وقصائد الأود المميزة، مثل «أود إلى بسيشِه» Ode to Psyche و«أود إلى عندليب» Ode to a Nightingale و«أود حول مزهرية إغريقية» Ode on a Grecian Urn، التي تعد في أفضل الشعر الإنكليزي. وكان عام 1820 آخر سني حياته، إذ توفي في أوائل العام التالي، ونشر فيه آخر مجموعة شعرية بعنوان «ليميا، إيزابيلا، مساء عيد القديسة آغنِس، وقصائد أخرى» Lamia, Isabella, The Eve of St.Agnes, and Other Poems لاقت نجاحاً كبيراً. وتكشف رسائله عن نظرة ناضجة إلى الحياة والفن، وعن شخصية جذابة آسرة تركت كبير الأثر في من تلاه من الشعراء.[6]

[6] الموسوعة العربية العالمية، الأداب الجرمانية ص 660